حديث:
"أنا عند ظن عبدي بي"
دراية ورواية

د. هناء بنت علي جمال الزمزمي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي: 25
(السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

حديث:" أنا عند ظن عبدي بي": دراية ورواية

"the hadith"I am at the assumption of my slave

د. هناء بنت علي جمال الزمزمي*

جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، dr.zamzamy@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/07/19 تاريخ القبول: 2019/12/21

ملخص:

اشتمل هذا الحديث على أعمال هي غاية في الأهمية، فحسن الظن بالله أمر عقدي ينبغي لكل مسلم أن يعاينه بعين البصر والبصيرة، ليرى أن حياته تسير بلطف الله ورحمته.

وقد اختلفت عبارات العلماء في توضيح المراد بها على أقوال أهمها: غفران الذنوب عند الاستغفار، وتأميل العفو والرجاء في رحمته، ويكون ذلك مصاحباً للعمل، وهو مخالف للغرور الذي هو تأميل العفو دون العمل. وحسن الظن له تعلّق بأعمال كثيرة، منها التوكل، والدعاء، والإيمان بالقدر، فهذه الأعمال إن لم يصحبها حسن الظن بالله، تصبح جوفاء.

كما تطرّق الحديث لأعظم فضيلة للذكر، وهي معية الله للذاكر، كما يصور الحديث مشهد الإقبال على الله الذي يظهر رحمته سبحانه وتعالى بعباده، وتتوج ذلك المشهد صورة الفرح بتوبة العبد التي تمثل غاية العفو والمغفرة من الله جل جلاله لعباده. كل هذه المعاني حريٌّ بالمسلم الوقوف عليها وقوف المتأمل للطف الله ورحمته وعفوه.

الكلمات المفتاحية: حسن الظن بالله؛ الرجاء؛ الدعاء؛ التوكل؛ التوبة.

Abstract:

The hadith "I am at the assumption of my slave" This hadith contains very important deeds. The good assumption about God is related to the creed .It is necessary for every Muslim to see it with his sight and foresight eye that his life is going with the God’s grant and His mercy.

*المؤلف المرسل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

Abstract:

The hadith "I am at the assumption of my slave" This hadith contains very important deeds. The good assumption about God is related to the creed .It is necessary for every Muslim to see it with his sight and foresight eye that his life is going with the God's grant and His mercy.

The phrases of scholars differ in the explanation about good assumption .The most important of them are: pardon of the sins during asking God for forgiveness and hope for God's forgiveness and mercy. This occurs by accompanying by deed and ıt is contrary to the deception that it is the hope for forgiveness without doing any deeds. The good assumption about God is related to many deeds.

These are the resigning oneself in God's hand, pray and believing in destiny. All these deeds are void unless the good assumption about God is accompanying with them The hadith mentions the greatest virtue of dhikr, it is that God is with the one who remembers Him. The hadith describes the scene of inclining towards God that expresses the Almighty Allah's mercy for His slaves. The most beautiful moment of the scene is the picture of the one who is happy with his repentance which represents the Almighty Allah's forgiveness and pardon to His slaves in the best manner. All these meanings are necessary for Muslim to think over the hope of God's grant, mercy and forgiveness.

Keywords: The good assumption about God ; forgiveness and hope for God's; pray ; believing in destiny; Repentance.

www.alukah.net
مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي 25
(السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، الحمد لله الذي رحمته وسعت كلّ شيء، الحمد لله التوّاب الذي فتح باب التوبة لكل عباده، كافرهم ومسلمهم وعاصيهم. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فقد استوقفني قول الله ﷻ في الحديث القدسي: "أنا عند ظنّ عبدي بي، فليظن بي ما شاء"، وما فيه من المعاني الجليلة المهمة لكل مسلم لما اشتمل عليه من عقيدة ينبغي أن يعقد المسلم قلبه عليها، وهي حسن الظن بالله في كل الأحوال ولو وعى جميع الخلق معنى حسن الظن بالله، وطبقوه في حياتهم لتبين لهم كيف أن الشر لا يُنسب إلى الله، ولا خطر على بالهم ولا طرأ على قلوبهم لحظة واحدة، واطمأن المؤمن لقضاء ربه، وأصبح طيب النفس ممتلأً قلبه حبًّا لله، وسعادةً بقضائه، بخلاف الظانين بالله ظنَّ السوء، فالدائرة عليهم، والخسران في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا متبرمون من قضاء الله، وفي الآخرة عليهم غضب الله ولعنته. ولما لهذا المعنى من أهمية بالغة أحببت أن أجلي تلك المعاني في عجالة سريعة موجزة بدأتها بمقدمة ثم تمهيد ثم ثلاثة مباحث ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج.

أهداف الموضوع:

1. جمع ألفاظ الحديث المتفرقة في عدة مصادر في موضع واحد.
2. توضيح دلالة حسن الظن بالله وارتباطها بالأعمال.
3. التنبيه على التأويل الذي وقع في كثير من شروح السنة للصفات الواردة في الحديث.
4. توضيح منهج أهل السنة والجماعة في الصفات الواردة في الحديث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسباب اختيار الموضوع:

1. الإسهام في خدمة السنة النبوية المباركة.
2. أهمية إحسان الظن بالله، وتطبيقه في واقع الناس المعاصر.
3. الوقوف على أعمال جليلة اشتمل عليها الحديث.

منهجي في البحث:

1. جمعت طرق وألفاظ الحديث من مصادر متعدّدة.
2. اكتفيت بالطرق التي صحّت وتركت ما لم يثبت.
3. بينت التأويل الذي وقع في بعض شروح السنة للصفات الواردة في الحديث.
4. وضحت منهج أهل السنة والجماعة في الصفات الواردة في الحديث.
5. حاولت ربط حسن الظن ببعض الأعمال الظاهرة والباطنة.
6. تتبعت أقوال العلماء في المراد بحسن الظن بالله، والفرق بينه وبين الغرور.
7. خرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، وذكرت حكم العلماء على الحديث إن كان في غير الصحيحين.
8. عرفت بالمصطلحات الواردة في البحث.

أما المقدمة فتشتمل على: أهداف البحث، أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث.

التمهيد، ويشتمل على: تعريف الحديث القدسي، معنى الظن لغةً واصطلاحاً.

المبحث الأول: جمع طرق الحديث ودلالة حسن الظن، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثاني: الأعمال الواردة في الحديث، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثالث: ارتباط حسن الظن بالأعمال، وفي أربعة مطالب:

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

www.alukah.net

تمهيد:

الحديث القدسي:

الحديث القدسي هو الذي يرويه الرسول ﷺ عن ربه تبارك وتعالى لفظاً ومعنى، ولم يقصد إلى الإعجاز به. وللعلماء في كيفية تلقي النبي ﷺ للحديث القدسي عن الله رأيان:

الأول: هو أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله ويكون بإحدى الطرق المعروفة وهي الوحي المباشر والالهام والمنام وبواسطة جبريل عليه السلام، وقال أحمد بن حجر الهيثمي: الأحاديث القدسية هي ما نقل إلينا احادا عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه وهو الأغلب، وانتصر لهذا الرأي الشيخ إسماعيل الرومي فقال: ويؤيد ذلك أمور:

1. إن هذه الأحاديث أضيفت إلى الله فقيل فيها قدسية، فلو كان لفظها من النبي ﷺ لما كان لها فضل اختصاص بالإضافة إليه تعالى دون سائر أحاديث النبي ﷺ.

2. إن هذه الأحاديث اشتملت على ضمائر التكلم الخاصة به تعالى، مثل: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكواكب [1].

وهذا القول اختاره الدكتور صالح الفوزان وكذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

الثاني: إن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من النبي ﷺ، وقال بهذا القول بعض العلماء وأهم ما تمسك به هؤلاء هو قولهم: لو كان منزلاً بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما للنظم القرآني، والجواب عن ذلك من وجهين:

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب بدء الأذان باب يستقبل الامام الناس إذا سلم رقم 846 .
- وفي أبواب الاستسقاء باب قول الله تعالى (وتجعلون رزقكم إنكم تكذبون) الواقعة 72 قال ابن عباس شكركم رقم 1038.
- و في كتاب المغازي باب غزوة الحديبية 4147.
- و في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) الفتح 15 رقم 7503.
- و مسلم في كتاب الايمان باب بيان كفر من قالل مطرنا بالنوء رقم 125.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

1. إن كان القصد من الحرمة والقدسية ما يرجع الى النفوس فإن الأحاديث القدسية بل وسائر الأحاديث النبوية تعظمها النفس المؤمنة.

2. وان كان القصد كونه معجزاً متعبداً بتلاوته؛ فهذه أمور تثبت بالأدلة بالنسبة للقرآن، وليس كذلك بالنسبة للأحاديث القدسية، ومن هنا فارقت القرآن، وسياتي الفرق بينها وبين القرآن؛ فالذي يبدو أن القول الأول أرجح، والله أعلم[1].

النسبة التي تلازم هذه الأحاديث:

تُنسب هذه الأحاديث إلى القُدس، بمعنى الطُّهْر، ومن معاني التقديس: التنزيه، ومنه: تقدَّس الله، أي: تنزّه الله، ومن أسماء الله الحسنى القُدُّوس، فكأنما أُريد من وصفها إبراز قيمتها المكتسبة من إضافتها إلى القدوس جل وعلا، أو من باب التكريم لها، ويطلق عليها البعض: الأحاديث الرّبّانيّة، نسبةً إلى الربِّ تبارك وتعالى، كما يطلق عليها أيضاً: الأحاديث الإلهيّة[2].

الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية:

1. القرآن الكريم يُتلى في الصلاة، ولا تصحّ الصلاة بالحديث القدسي.
2. القرآن الكريم متواتر قطعيًّا، بينما الأحاديث القدسية نقلت من طريق الآحاد.
3. عدم حُرمة لمسها، وقراءتها للجُنُب.
4. القرآن مُعجز، والحديث القدسي ليس بمعجز.
5. القرآن محفوظ إلى يوم القيامة من التغيير والتبديل، بينما نجد أن بعض الأحاديث القدسية ضعيفة.
6. ثواب قراءة القرآن، فكل حرفٍ بعشر حسنات، ولم يثبت هذا للأحاديث القدسية[3].

(1) الفتح المبين بشرح الأربعين لأحمد بن حجر الهيثمي 432 التلخيص الحبير لابن حجر 8/1، والاحاديث القدسية جمعاً ودراسة للدكتور عمر علي عبد الله محمد ص14-22.بتصرف، موقع سماحة الشيخ بن باز.
(2) معجم الأحاديث القدسية الصحيحة، ومعها الأربعون القدسية، ص(4،3) ومنهج النقد، ص323.
(3) معجم الأحاديث القدسية، ص.4، 5.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكم الأحاديث القدسية:

قد يكون الحديث القدسي صحيحاً، أو حسناً، أو موضوعاً، ولا يعني كونه قدسيًّا أن يكون صحيحاً بالضرورة[1].

أشهر المصنفات في الحديث القدسي:

1. الأحاديث القدسية للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.
2. المقاصد الحسنة في الأحاديث الإلهية للأمير علاء الدين بن أبي الحسن علي بن بلبان الفارسي.
3. الأربعون القدسية لملا علي القاري.
4. الإتحافات السنيّة بالأحاديث القدسية، لعبد الرؤوف المناوي.
5. الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للشيخ محمد المدني.
6. الصحيح المسند من الأحاديث القدسية لمصطفى العدوي. وغيرها[2].

تعريف الظنّ لغةً واصطلاحاً:

الظن لغةً: الظاء والنون أصلٌ صحيح يدلّ على معنيين مختلفين: يقين وشك. فأما اليقين: فقول القائل: ظننت ظنًّا، أي: أيقنت، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾[3].

ومن هذا الباب مظنّة الشيء، وهو مَعْلَمُه ومكانه. ويقولون: هو مَظِنَّة لكذا.

والأصل الآخر: الشك، يقال: ظننت الشيء إذا لم تتيقّنه. ومن ذلك: الظِّنَّة: التهمة، والظَّنين: المتَّهم[4].

---

(1) المفصل في علوم الحديث، 1/ 242.
(2) المدخل إلى دراسة علوم الحديث، ص.700-703.
(3) البقرة: 249.
(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، 3/ 463.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد، الغير جازم[1]. وقيل: هو شكّ ويقين، إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبّر. فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا عَلِم[2].

وقيل: هو إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه، وقد يكون مع اليقين[3].

الظنّ اصطلاحاً: هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان. وقيل: هو الراجح إن قاربه إمكان المرجوح[4]. وقيل: الظن عند الفقهاء، هو التردد بين أمرين استويا أو ترجّح أحدهما على الآخر. وعند المتكلمين: هو تجويز أمرين أحدهما أرجح من الآخر، والمرجوح يسمى بالوهم[5].

المبحث الأول: جمع طرق وألفاظ الحديث ودلالته:

المطلب الأول: جمع طرق وألفاظ الحديث:

طرق حديث أبي هريرة: قال الإمام البخاري: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، سمعت أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليّ بشبرٍ تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقرّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة".

كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[6] وقوله جلّ ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[7] (7405)

ومسلم، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (6981)، وفي باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم (7008).

---

(1) تاج العروس، 35/ 365، القاموس المحيط، 1/ 1566، التعريفات، 1/ 187.
(2) لسان العرب، 13/ 272.
(3) المعجم الوسيط، 2/ 578.
(4) الكليات لأبي البقاء الكفوي، 1/ 67، 528.
(5) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 172. وانظر: نضرة النعيم، 5/ 1597.
(6) آل عمران: 28.
(7) المائدة : 116.

والترمذي، في كتاب الدعوات، باب في حسن الظن بالله عز وجل، رقم (3603).

والنسائي في السنن الكبرى، كتاب النعوت، باب قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1]، (7683).

وابن ماجه، في كتاب الأدب، باب فضل العمل، رقم (3822).

وأحمد في مسنده، برقم (7416)، (7422)، (7340)، و(9351).

والبزار في مسنده، برقم (9142)، و(9218).

وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأذكار، ذكر الله جلّ وعلا في ملكوته من ذكره في نفسه من عباده مع ذكره إياهم من المقربين من ملائكته عند ذكرهم إياه في خلقه، رقم (811).

الطبراني في الدعاء رقم (18) باب ما جاء في فضل لزوم الدعاء والالحاح فيه.

والبيهقي في الأربعون الصغرى، برقم (430)، وفي الأسماء والصفات، رقم (449).

والبغوي في شرح السنة كتاب الدعوات، باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل والذكر رقم (1251).

كلهم عن الأعمش به، بلفظٍ مقارب، عدا البزار بنقصٍ في آخره. ورواية أحمد رقم (7422) بتقديم وتأخير.

وأخرجه البخاري من طريقٍ آخر، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[2] (7505): عن أبي اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي".

---

[1] الأعراف: 180

[2] الفتح: 15

ومن طريقه أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب رواية النبي ﷺ قول الله عز وجل في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب سوى ما في الكتاب، رقم (448) بلفظه، وزاد في آخره: "وأنا معه حيث يذكرني".

وابن شاهين في الترغيب فضائل الأعمال وثواب ذلك رقم (367) باب فضل حسن الظن بالله عز وجل، عن أبي الزناد به بلفظه مع زيادة في آخره.

وأخرجه مسلم، في كتاب التوبة، بابٌ في الحضّ على التوبة والفرح بها، رقم (2675): عن سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، حدثني زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول".

وأحمد في مسنده، برقم (10684)، و(10704) مختصراً.

ومن طريق آخر برقم (10782)، و(10909) بلفظٍ مقارب.

والبزار في مسنده، برقم (8909) مختصراً.

والطبراني في الدعاء رقم (1866) بلفظ مقارب مع نقص في آخره.

ومن طريق آخر، رقم (1868) مختصراً.

ثلاثتهم عن زيد بن أسلم به.

وأخرجه أحمد في مسنده (10253) عن سريج بن النعمان، حدثنا فليح عن هلال عن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: "إن الله عز وجلّ يقول" وذكره بلفظ رواية أبي صالح، مع زيادة لفظ: "له المن والفضل" في آخره.

والطبراني في الدعاء (1865) عن سريج به بلفظ مقارب مع نقص في آخره.

وفيه فليح صدوق كثير الخطأ. التقريب (448).

وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله (2675).

عن أبي كريب محمد بن العلاء حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن يزيد الأصم عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني".

والترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في حسن الظن بالله (2388).

وأحمد في مسنده (9749) كلاهما عن وكيع به بلفظه.

وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق برقم (909) عن هشام بن الغاز عن حيان أبي النضر أنه حدثه قال: سمعت واثلة بن الأصقع يقول: قال رسول الله ﷺ: يقول الله سبحانه وتعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء". وأخرجه أحمد رقم: (16016) بلفظه وفيه قصة.

والدارمي رقم (2773) بلفظه.

وابن حبان في صحيحه، رقم (633)، كتاب الرقائق، باب حسن الظن بالله تعالى، في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله جل وعلا بحسن الظن في أحواله، بلفظه.

وفي الكتاب والباب نفسه ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة سوء الظن بالله عز وجل، وإن كثرت حياته في الدنيا، رقم (634) بلفظه، وفي الكتاب والباب نفسه في ذكر إعطاء الله عز وجلَّ العبد المسلم ما أمَّل ورجا من الله عز وجلَّ (635) بلفظه.

وفي الكتاب والباب نفسه ذكر البيان بأن من أحسن بالمعبود كان له عند ظنه، ومن أساء به الظن كان له عند ذلك، رقم (641) بلفظه، وفيه قصة، وزاد فيه: "إن ظنَّ خيراً وإن ظنَّ شرًّا".

والطبراني في الكبير، برقم (7670) بلفظه.

وفي الأوسط رقم (0401) بلفظه مع زيادة لفظ: "إن ظنَّ خيرا فخير، وإن ظنَّ شرًّا فشر".

والحاكم في المستدرك، رقم (7603) مختصراً.

والبيهقي في شعب الإيمان، رقم (974) مختصراً، وفيه قصة.

أربعتهم عن أبي النضر به.

وسنده صحيح؛ لأن رجاله ثقات [1]،

وأخرجه أحمد في مسنده برقم (13192) عن سليمان، ثنا شعبة، ثنا قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجلّ: "أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني".

وأبو يعلى في مسنده، رقم (3232)

والطبراني في الدعاء رقم (27) كلاهما عن شعبة به بلفظه.

وسنده صحيح؛ لأن رجاله ثقات[2]،

وقال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (8136).

وأخرجه أحمد رقم (9076) عن حسن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجلّ قال: "أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنّ بي خيراً فله، وإن ظنّ شراً فله".

---

(1) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد, جمعت فيه خصال الخير، من الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين وله 63، روى له الجماعة. التقريب ص.320.
هشام بن الغاز الجرشي, وهو ابن الغاز بن ربيعة أبو العباس، قال عنه أحمد بن حنبل: صالح الحديث، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن حبان: من خيار الشاميين ومتقنيهم, مات سنة 156. الجرح والتعديل 67/8, مشاهير علماء الأمصار 291.
حيان أبو النضر الأسدي، قال عنه أبو حاتم: صالح، وقال معين: ثقة. الجرح والتعديل، 245/2.

(2) سليمان بن حرب الأزدي الواشحي البصري قاضي مكة، ثقة إمام حافظ، من التاسعة، مات سنة24 وله ثمانون سنة، روى له الجماعة. التقريب، 250. شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش العراق عن الرجال وذب عن السنة، وكان عابداً، من السابعة، مات سنة 60، روى له الجماعة. التقريب، 266. قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة، روى له الجماعة .453.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفيه ابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه[1].

ورواه من طريق آخر ابن حبان في كتاب الرقائق باب ذكر البيان بأن الله عز وجلَّ يعطي من ظن ما ظن إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، (639) عن عبد الله بن محمد بن سلم قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثنا بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث وذكر بن سلم آخر معه أن أبا يونس حدثهم عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ وذكره بلفظه.

ورجاله ثقات عدا حرملة فهو صدوق[2].

وعليه فالحديث حسن. وصححه الألباني[3].

المطلب الثاني: دلالة حسن الظن بالله:

ذكر العلماء عدة أقوال لتوضيح مدلول حسن الظن بالله، أذكر منها:

1. قيل معناه: الغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر للعبد إلا إذا أحسن الظن بالله، وقوي يقينه[4]
2. وقيل: المراد به الرجاء، وتأميل العفو[5].
3. وقيل: أي: إني قادر على أن أعمل به ما ظنّ أني عاملٌ به[6].

---

(1) انظر التقريب، 319

(2) عبد الله بن محمد بن سلم بن حبيب الفريابي المحدث العابد الثقة، سمع منه أبو حاتم ابن حيان ووثقه، وأبو أحمد ابن عدي وآخرون. مات سنة نيف وعشرة وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء، 189/11. حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران أبو حفص التجيبي المصري صاحب الشافعي، صدوق من الحادية عشرة، مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين، وكان مولده سنة ستين . التقريب، 156 .
عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد، من التاسعة، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة. التقريب، 328.
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري، ثقة فقيه حافظ، من السابعة، مات قديما قبل الخمسين ومائة. التقريب، 419.
سليم بن جبير الدوسي مولى أبي هريرة، أبو يونس المصري، ثقة، من الثالثة، مات ثلاث وعشرين. التقريب، 249

(3) انظر التعليقات على صحيح ابن حبان 94/2.

(4) إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل عياض اليحصبي، 8/ 172.

(5) شرح النووي على صحيح مسلم، 17/ 3.

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13/ 385.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

4. وقيل: إن ظنّ بي العفو فله ذلك، وإن ظنّ العقوبة فكذلك. وكذلك إذا اعتمد على الله في أمر من الأمور، يعامله الله بلطفه وكرمه ما ظنّ. وهذا مقام يشعر بكمال التوكل، والاعتماد على الله [1].

5. وقيل: المراد: الحث على تغليب الرجاء على الخوف والظن على بابه. وقال القاضي: ويمكن تفسيره بالعلم، والمعنى: أنا عند يقينه بي، وعلمه بأن مصيره إليّ، وحسابه عليّ، وأن ما قضيت من خير وشر فلا مردّ له، لا معطي لما منعت، ولا رادّ لما أعطيت. أي إذا تمكّن العبد في مقام التوحيد، ورسخ في مقام الإيمان والوثوق به سبحانه، قرب منه، بحيث إذا دعاه أجاب، وإذا سأله استجاب. وجزم بعض المتأخرين بثاني احتماليه، فقال: معناه عند يقينه بي، فالاعتماد عليّ، والوثوق بوعدي، والرهبة من وعيدي، والرغبة فيما عندي، أعطيه إذا سألني، وأستجيب له إذا دعاني، كل ذلك حسب ظنه وقوة يقينه. والظن قد يرد بمعنى اليقين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦ ﴾[2]، أي: يوقنون، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر. أي: إن ظنّ بي خيراً أفعل به خيراً، وإن ظنّ بي شرًّا أفعل به شرًّا[3].

6. وقيل: أن يظن أن الله تعالى يرحمه، ويرجو ذلك بتدبّر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله وعفوه، وما وعد به أهل التوحيد وما سيبدلهم من الرحمة يوم القيامة[4].

7. قال الطيبي: أحسنوا أعمالكم الآن، حتى يحسن ظنكم بالله عند الموت، فإن من ساء عمله قبل الموت يسوء ظنه عند الموت[5].

8. قال التوربيشتي: الظن لما كان واسطة بين الشكّ واليقين، استعمل تارةً بمعنى اليقين، وذلك إن ظهرت أمارته، وتارةً بمعنى الشك إن ضعفت علاماته.

---

(1) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي، 2/ 1387.
(2) البقرة: 46
(3) فيض القدير، 2/ 395.
(4) عون المعبود، 8/ 383.
(5) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري، 7/ 765.

وعلى المعنى الأول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[1] أي: يوقنون على ربهم، والمعنى الثاني: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[2]، أي: توهموا. والظّنّ في الحديث يجوز إجراءه على ظاهره، ويكون المعنى: أنا أعامله على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف، وحسن الظن بالله[(3)]، كقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)[(4)].

وقال ابن عباد: حسن الظن يطلب من العبد في أمر دنياه وفي أمر آخرته، أما أمر دنياه فإنه يكون واثقاً بالله في إيصال المنافع، والمرافق إليه من غير كدّ أو بسعي خفيف مأذون فيه، ومأجور عليه، وبحيث لا يفوته ذلك شيئاً من فرضٍ ولا نفل، فيوجب له ذلك سكوناً وراحة في قلبه وبدنه، فلا يستفزّه طلب، ولا يزعجه سبب. وأما أمر آخرته فإنه يكون قويّ الرجاء في قبول أعماله الصالحة، وتوفية أجوره عليها في دار الجزاء، فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الأمر، والتكثير من أعمال البر. ومن مواطن حسن الظن بالله أوقات الشدائد والمحن، وحلول المصائب في المال والبدن، لئلا يقع بعد ذلك في الجزع والسخط[(5)].

وقال الشيخ بن عثيمين: يعني أن الله عند ظن عبده به، إن ظنّ به خيراً فله، وإن ظنَّ به سوى ذلك فله. ولكن متى يكون العبد محسناً الظن بالله، يكون كذلك إذا فعل ما يوجب فضل الله ورحمته، فيعمل الصالحات، ويحسن الظن بالله يقبله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل فهذا من باب التمنّي على الله، ومن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فهو عاجز.

---

1 البقرة: 46

2 القصص: 39

(3) شرح الطيبي لمشكاة المصابيح، 4/ 322.

(4) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، رقم (2877).

(5) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 7/ 382، 383.

حسن الظن أن يوجد من الإنسان عمل يقتضي حسن الظن بالله، أما أن تحسن الظن بالله مع مبارزتك له بالعصيان، فهذا دأب العاجزين الذين ليس عندهم رأس مال يرجعون إليه. لكن إذا صمت وتصدّقت، وإذا عملت عملاً صالحاً، أحسِن الظن بالله أن الله تعالى يقبله منك[1].

المطلب الثالث: الفرق بين حسن الظن والغرور:

ذكر ابن القيم أن هناك مغالطات عند بعض الناس لبعض المفاهيم، منها مفهوم حسن الظن والغرور، فيقول: أن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولابد، ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويف بالتوبة تارة، وبالاستغفار باللسان تارة، وبفعل المندوبات تارة، وبالاحتجاج بالقدر تارة. وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل، ثم قال "أستغفر الله" زال أثر الذنب، وراح هذا بهذا. وقال لي رجل من المنتسبين إلى الفقه: أنا أفعل ما أفعل ثم أقول: "سبحان الله وبحمده" مائة مرة[2]، وقد غفر ذلك أجمعه.

وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص الرجاء، واتكل عليها، وتعلق بها بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها، سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته، ونصوص الرجاء. وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب. ومنهم من يغترّ بفهم فاسد بفهمه هو، وأضرابه من نصوص القرآن والسنة، فاتكلوا عليه كاتكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[3] قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته. وهذا من أقبح الجهل، وأبين الكذب عليه. وكاتكال بعضهم على قوله ﷺ حاكياً عن ربّه: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء"، يعني ما كان في ظنه فإني فاعله به.

---

[1] شرح رياض الصالحين، 3/ 335.
[2] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (640)، ولفظه : "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" . ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (2691) بلفظه ضمن حديث طويل.
[3] الضحى: 5 .

www.alukah.net

ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات، فإن وحشة المعاصي والظلم والإجرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق المسيء، الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به. ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنًّا بربه أطوعهم له، كما قال الحسن البصري أن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل[1]، وأن الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل. وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة، وعادى أولياءه، ووالى أعداءه، وجحد صفات كماله، وكيف يجتمع في قلب العبد تيقّنه بأنه ملاق الله، وأنه موقوف بين يديه، ومسؤول عن كل ما عمل، وهو مقيم على مساخطه، مضيع لأوامره، وهو مع هذا محسن الظن به؟، وهل هذا إلا من خدع النفوس وغرور الأماني[2].

المبحث الثاني: الأعمال الواردة في الحديث:

المطلب الأول: معيّة الله وذكر العبد لله وذكر الله للعبد:

أولاً: مفهوم المعية:

المعيّة تختلف باختلاف ما أضيفت إليه في لغة العرب، ولهذا جاء في كلام العرب: سرنا والقمر معنا، مع أن القمر فوقهم في السماء، وهم في الأرض. فتكون المعية التي تضاف إلى الله أعلى وأجل وأعظم من المعية التي تكون للمخلوقات، وهذا يبين أن المعية ليس معناها الاختلاط والامتزاج[3]، ولا تعارض بين معية الله وعلوه.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد, باب كلام الحسن البصري رقم الحديث (53491).
(2) الداء والدواء، 36-47 بتصرف.
(3) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان، الشريط 14/ 6.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يتناقض بعضه بعضاً البتّة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش، يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه"[1]، ونحو ذلك، فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]. فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيّدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة"[3].

المراد بالمعية هنا: المعية العامة، أما المعية الخاصة فقد وردت في الحديث الذي نحن بصدده، في قوله تعالى: "وأنا معه إذا ذكرني"، حيث فسّره المحدثون بأن المراد: معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية. وأما قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فمعناه: بالعلم والإحاطة[4].

وقيل: معناه أي بعلمي، وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[5]. والمعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ...﴾[6] إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ﴾

---

(1) صحيح البخاري: كتاب أبواب المساجد، باب حكّ البزاق باليد من المسجد. بنحوه رقم (405). ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها رقم (547) بنحو.

(2) الحديد: 4.

(3) العقيدة الحموية الكبرى، 146-147.

(4) شرح صحيح مسلم للإمام النووي، 17/ 3.

(5) طه: 46

(6) فتح الباري 13/ 38.

وقيل: أنه معه عوناً ونصراً وتأييداً، وتوفيقاً وتحصيلاً لمرامه، وهي معية الخصوصية[1].

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي: وهذا الحديث فيه إثبات المعية لله عز وجلّ معية خاصة مع الذاكرين، بتوفيقه وتثبيته وتسديده وحفظه، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[2]، فهي معيةٌ مع المتقين والمحسنين، وهي غير المعية العامة، التي هي معية الله مع الخلق كلهم، بإحاطته ونفوذ قدرته، ومشيئته وعلمه، واطلاعه ونفوذ بصره فيهم. فهي تشمل الخلق كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فالله معهم بالعلم، لا يخفى عليه شيء من عباده، كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ ﴾[3]، فافتتح أول الآية بالعلم، وختمها بالعلم.

فدلّ على أن المعية معية الله: العلم والإحاطة والاطلاع والقدرة والمشيئة، فيجتمع في حق المؤمن المعية الخاصة والعامة، فهو مع الذاكرين بعلمه وإحاطته، ومعهم معية خاصة بتوفيقه وإعانته، وينفرد الكافر بالمعية العامة[4]. ومعية الله لعباده محض فضله وإحسانه سبحانه وتعالى، ودليل على فضل العمل الذي قام به العبد فقد جاء في فوائد الذكر أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه وهذه المعية الخاصة، فالذاكر له من هذه المعية النصيب الوافر، كما جاء في الحديث "أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه"[5]. وقد ثبتت معية الله لعباده في أعمال أخرى وردت في القرآن والسنة.

---

(1) مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، 7/ 384.
(2) النحل: 128
(3) المجادلة: 7.
(4) شرح كتاب التوحيد، صحيح البخاري، ص38.
(5) فقه الأدعية والأذكار، 1/ 25 بتصرّف. والحديث أخرجه أحمد في مسنده، رقم (10976)، وقال عنه الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير، 1/ 386.

ثانياً: ذكر العبد لربه:

الذكر في اللغة: قال الفراء: الذكر ما ذكرته بلسانك، وأظهرته. والذكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذكر، أي: لم أنسه، وقال الليث: الذكر الحفظ للشيء، تذكره، والذكر جري الشيء على لسانك[1].

الذكر اصطلاحاً: هو ذكر المسلم ربه سبحانه وتعالى بالثناء عليه بما هو أهله، أو بسؤاله الحاجات، والالتجاء إليه لكشف الكربات.

وقيل: هو ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله وأحكامه، أو بمسألته ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه، بتقديسه وتمجيده وتوحيده، وحمده وشكره وتعظيمه [2].

وقد خص الذكر بكثير من الفضائل لما فيه من معاني التنزيه لله عز وجل، التي يتضمنها التسبيح. فالتسبيح يطلق، ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وذلك من باب تسمية العام بالخاص. فهو يتضمن تنزيه ذاته عز وجل من كل نقص وعيب، وتنزيه صفاته من كل سوء، وذم. ومن مماثلة صفات المخلوقين، وتنزيه أفعاله من العبث والظلم، والشر، وخلاف الحكمة. وكل تنزيه في الكتاب والسنة ليس نفيًّا محضاً، ولا سلباً مجرّداً، بل هو يتضمن إثباتاً وسلباً يستلزم إيجاباً. وبيان ذلك أن التسبيح لما دلّ على تنزيه الله عن النقائص، استلزم اتصافه بالكمال المطلق، الذي لا نقص ولا عيب فيه بوجه من الوجوه. ولما تنزّه سبحانه وتعالى عن صفات النقص كلها، واتصف بصفات الكمال كلها، وجبت له العظمة والجلال، فكان التسبيح بهذا دالٌّ على التعظيم، والمدح والثناء في حق الله عز وجل[3]. وقد وردت أحاديث تدل على أن التسبيح فيه تعظيم وثناء على الله، من ذلك قوله ﷺ: "الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله، يتَعاطَفن حول العرش، لهنّ دوي كدوي

[1] تهذيب اللغة، 10/ 94.
[2] ذكر الله بين الاتباع والابتداع، ص.30.
[3] التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة، 1/ 75-79-80.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النحل، يذكرن بصاحبهن إلا يحب أحدكم، لا يزال له عند الله شيء يذكر به"[1]، فأخبر النبي ﷺ أن التسبيح من جلال الله، أي من عظمته[2].

ومما ورد في القرآن والسنة في فضل التسبيح:

1. ثناء الله على المشتغلين بالتسبيح، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ ﴾[3].

2. حكاية الله تعالى عن الملائكة الكرام، تمدحهم بتسبيحهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾[4].

3. أن التسبيح عون على الصبر، وسبب لزوال الكروب، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ ﴾[5] .

4. التسبيح أفضل ما يستعد به العبد للقاء ربه عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾[6]، قال الحسن البصري: أعلَمَ الله رسوله ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمره بالتسبيح والتوبة، ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (1836). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(2) التسبيح في الكتاب والسنة، 1/ 81.
(3) النور: 36-37
(4) البقرة: 30
(5) ق: 39
(6) النصر: 3

شبكة الألوكة - قسم الكتب

5. التسبيح عبادة جميع الكائنات، وهو من أوضح الأدلة على فضل التسبيح، فإن الله تعالى لحبه لهذه الكلمة، ألهمها السموات والأرض، ومن فيهما، ورضيها من الملائكة، والأنبياء، وعباده المؤمنين، ومن أهل الجنة في الجنة.

6. التسبيح عبادة لا تتناهى، فقد أخبر الله أن التسبيح باقٍ في الجنة، لقوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[1].

7. التسبيح من أحب الكلام إلى الله، لقوله ﷺ: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟"، قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، قال: "إن أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى سبحان الله وبحمده"[2].

8. التسبيح ثقيل في الميزان يوم القيامة، لقوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"[3].

إلى غير ذلك من فضائل الذكر التي أفردت في مظانها[4]. ومن أعظم فضائل الذكر ذكر الله للعبد، كما جاء في الحديث "إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي".

ثالثاً: ذكر الله للعبد:

قال ابن بطّال: المعنى: من ذكرني في نفسه متضرّعاً داعياً، ذكرته في نفسي مجيباً مشفقاً، فإن ذكرني في ملأ من الناس بالدعاء والتضرع، ذكرته في ملأ من الملائكة الذين هم أفضل من الناس بالمغفرة والرحمة والهداية[5]. وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون مثل قوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾، ومعناه: اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام. وقال ابن حجر: من ذكرني بالتنزيه والتقديس سرًّا، ذكرته بالثواب والرحمة سرًّا، ومن ذكرني في نفسه، ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحداً، وإن ذكرني جهراً، ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى[6].

---

(1) يونس: 10.
(2) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم (7102).
(3) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم (6406). ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.
(4) ممن أفرد الكلام عن فضائل الذكر: ابن القيم في كتابه " الوابل الصيب".
(5) شرح ابن بطال، 10/ 520.
(6) فتح الباري، 13/ 386.

وهذا تأويل، والصواب: أن الله يذكر عبده في نفسه وفي غيرها على الحقيقة اللائقة به سبحانه، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل[1]. والحديث فيه إثبات صفة النفس لله، ونفسه هي ذاته عز وجل، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[2]، وقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾[3].

ومن السنة قوله ﷺ: "وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ونفسه هي ذاته المقدسة، والمراد بنفسه هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكّة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات[5].

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي: وفيه إثبات النفس لله، والمعنى: من ذكر ربه سرًّا في نفسه، فإن الله يذكره سرًّا في نفسه من غير اطلاع أحد من خلقه على ذلك. ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم، وهم الملائكة. فذكر الله للعبد ثناء عليه عند الملائكة[6]. وقيل: من ذكرني في ملأ افتخاراً بي، وإجلالاً بين خلقي، ذكرته في ملأ خير منهم مباهاة وتعظيماً لقدره بين ملائكتي الذين هم أفضل ممن ذكرني فيهم مباهاة[7].

وقال ابن القيم في درجة الغنى بالله تبارك وتعالى: فأول هذه الدرجة أن تشهد ذكر الله إياك قبل ذكرك له، وأنه تعالى ذكرك فيمن ذكره من مخلوقاته ابتداءً قبل وجودك وطاعتك وذكرك، فقد خلقك ورزقك، وعلمك وأحسن إليك، حيث لم تكن شيئاً البتة، وذكرك تعالى بالإسلام، فوفقك له، واختارك له دون من خذله، فلولا ذكره لك بكل جميل أوكله لم يكن لك سبيل من الذي ذكرك بالتوبة حتى وفقك لها، وأوقعها في قلبك حتى تبت إليه،

---

(1) التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، ص68.
(2) آل عمران: 27.
(3) المائدة: 116.
(4) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (486).
(5) مجموع الفتاوى، 9/ 293.
(6) شرح كتاب التوحيد، 152-216.
(7) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي، 95.

فذقت حلاوة التوبة حتى تقربت إليه، ثم أثابك على هذا التقرب، فلولا ذكره إياك لم يصل إلى قلبك ذرة مما وصل إليه من معرفته وتوحيده، ومحبته وخوفه، ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، فهذه كلها آثار ذكره لك مع غناه عنك، فإذا شهد العبد ذكر ربه تعالى له، وحصل لقلبه به غنى لا يشبهه شيء، وهذا كما يحصل للمملوك الذي لا يزال يذكره سيده ولا ينساه، فهو يحصل له بشعوره بذكره سيده له غنى زائد على إنعام سيده عليه، فهذا هو غنى ذكر الله للعبد.

وقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". فهذا ذكر ثانٍ بعد ذكر العبد لربه غير الذكر الأول، بعد الذي ذكره به حتى جعله ذاكراً، وشعور العبد بكلا الذكرين يوجب له غنى زائد عن إنعام ربه عليه، وعطاياه له، والمقصود أن شعور العبد وشهوده لذكر الله له، يغني قلبه، ويسد فاقته، وهذا بخلاف من نسوا الله فنسيهم، فإن الفقر من كل خير حاصل لهم، وما يظنون أنه حاصل لهم من الغنى فهو من أكبر أسباب فقرهم[1].

المطلب الثاني: الإقبال على الله والرجاء في رحمته:

قال الله تعالى في الحديث: "وإن تقرّب مني شبرًا تقرّبتُ إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة".

قال ابن بطّال: وصفه تعالى بأنه يتقرّبُ إلى عبده، ووصفه بالتقرب إليه، ووصفه بإتيانه هرولة، فإن التقرب والإتيان والمشي والهرولة محتملة للحقيقة والمجاز، وحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات، وتواني الأجسام، وذلك لا يليق بالله، فاستحال حملها على الحقيقة، ووجب حملها على المجاز لشهرة ذلك في كلام العرب، فوجب أن يكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً وذراعاً، وإتيانه ومشيه معناه: التقرب إليه بطاعته، وأداء مفترضاته، ويكون تقربه تعالى من عبده قوله تعالى: "أتيته هرولة" أي: أتاه ثوابي مسرعاً[2].

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، 1/ 75-76.
(2) شرح ابن بطال، 10/ 429.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الكرماني: هذه الإطلاقات ليس إلا على سبيل التجوّز، إذ البراهين العقلية القاطعة قائمة على استحالتها على الله تعالى، فمعناه: من تقرّب إلي بطاعة قليلة، أجازيه بثوابٍ كثير، وكلما زاد في الطاعة أزيد في الثواب، وإن كان كيفية إتيانه بالطاعة على التأني، يكون كيفية إتيانه بالثواب على السرعة، فالفرض أن الثواب راجح على العمل، مضاعف عليه كما وكيفما، ولفظ النفس والتقرب والهرولة، إنما هو مجاز على سبيل المشاكلة، أو على سبيل الاستعارة، أو على قصد إرادة لوازمها، وهو من الأحاديث القدسية الدالة على كرم أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، اللهم ارزقنا حظًّا وافراً منه[1].

وقيل: يجوز أن يكون المعنى: من تقرب إلي شبراً، أي: بالقصد والنية، قرّبته توفيقاً وتيسيراً ذراعاً، وإن تقرّب إليّ بالعزم والاجتهاد ذراعاً، قربته بالهداية والرعاية باعاً، وإن أتاني معرضاً عمن سواي، مقبلاً إلي، أدنيته وحلت بينه وبين كل قاطع، وسبقت به كل مانع، وهو معنى الهرولة[2] وهذا كله من التأويل.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فكلما تقرّب العبد باختياره قدر شبر، زاده الرب قرباً إليه، حتى يكون كالمقترب بذراع، فكذلك قرب الرب من قلب العابد. وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب، والإيمان به، وهو المثل الأعلى. وهذا لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محبًّا لما أحبّ الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعاديه. فيتحد مراده مع المراد المأمور به، الذي يحبه الله ويرضاه، وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده[3].

---

(1) شرح الكرماني، 25/ 119.
(2) إكمال المعلم، 8/ 85.
(3) شرح حديث النزول، 1/ 138.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: هذا الحديث يدل على عظيم فضل الله عز وجل، وأنه بالخير إلى عباده أجود، فهو أسرع إليهم بالخير والكرم والجود منهم في أعمالهم، ومسارعتهم إلى الخير، والعمل الصالح. ولا مانع من إجراء الحديث على ظاهره على طريق السلف الصالح، فإن أصحاب النبي ﷺ سمعوا هذا الحديث من رسول الله ﷺ، ولم يعترضوه، ولم يسألوا عنه، ولم يتأولوه، وهم صفوة الأمة وخيرها، وهم أعلم الناس باللغة العربية، وأعلم الناس بما يليق بالله، وما يليق نفيه عن الله عز وجل، فالواجب في مثل هذا أن يتلقى بالقبول، وأنه يحمل على خير المحامل، وأن هذه الصفة تليق بالله لا يشابهه فيها خلقه. فليس تقرّبه إلى عبده مثل تقرب العبد إلى غيره، وليس مشيه كمشيه، ولا هرولته كهرولته، وهكذا غضبه، وهكذا رضاه، وهكذا مجيئه يوم القيامة، وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وهكذا استواءه على العرش، وهكذا نزوله في آخر الليل. كلها صفات تليق بالله عز وجل لا يشابه فيها خلقه، فكما أن استواءه على العرش، ونزوله في آخر الليل، لا يشابه استواء خلقه، ولا نزول خلقه، فهكذا تقربه إلى عباده العابدين له، والمسارعين لطاعته لا يشابه تقربهم، وليس قربه منهم كقربهم منه، وليس مشيه كمشيهم، وهرولته كهرولتهم، بل هو شيء يليق بالله، لا يشابه فيه خلقه كسائر الصفات. وقد أجمع السلف على أن الواجب في صفات الرب وأسمائه إمرارها كما جاءت، واعتقاد معناها، وأنه حقاً يليق به، وأنه لا يعلم كيفية صفاته إلا هو، كما أنه لا يعلم كيفية ذاته إلا هو، فالصفات كالذات ... فالواجب على المسلمين علماء وعامة، إثبات ما أثبته الله لنفسه، إثباتاً بلا تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وتنزيه الله عما نزّه عنه نفسه تنزيهاً بلا تعطيل[1].

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي: هذه كلها من الصفات الفعلية لله عز وجل، فتقرب الله من العبد إذا تقرب إليه، وذكر الله للعبد إذا ذكره، وإتيان الله تعالى إلى العبد إذا أتى إليه، هذه كلها من الصفات الفعلية، لكن من ثمراتها أن الله تعالى أسرع بالخير إلى العبد، وأسرع بالإثابة من فعل العبد للطاعة، فهذه من ثمراتها، وليست هي الصفات.

[1] فتاوى نور على الدرب، 68-70.

www.alukah.net
مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي 25 (السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

بعض المؤولين يفسرها أن الله تعالى أسرع بالثواب من العبد، والصحيح أن هذه من ثمرات الصفة، وليست هي الصفة. وما ذكره في هذا الحديث صفات فعلية تليق بالله، لا نعلم كيفيتها، فنثبت أن الله يذكر العبد إذا ذكره، وأن الله يتقرب إلى من تقرب إليه، وأنه سبحانه يأتي من أتى إليه، وهذه الصفات الفعلية توصف بها نفس الله عز وجل، ومثل هذا الحديث حديث "إن الله لا يملّ حتى تملّوا"[1]، هذه صفة لله، أثبت أنه لا يمل حتى يمل العبد، وهذه صفة ليس فيها نقص مثل ملل المخلوق، لكن من ثمراتها أن الله يقطع الثواب إذا قطع العبد العمل، وأهل التأويل يقولون: المعنى يقطع الثواب إذا قطع العبد العمل، والصواب أن هذا من ثمرات وآثار الصفة وليست الصفة، ونثبت لله الإتيان لمن أتى إليه، أن من أتى إليه يمشي، أتاه هرولة من باب المقابلة، ولا يقال من صفاته الهرولة، ولا يقال من صفات الله الماكر، بل يقال أن الله يكيد من كاده، فالكمال في المقابلة، فلا يقال من صفات الله أنه يمشي، ومن صفاته الهرولة، بل على لفظ الصفة لأنه لا يشتق من الصفات الفعلية أسماء الله سبحانه وتعالى[2].

وهذا المعنى الذي ورد في تلك الصفات لله عز وجل، يدل على سعة رحمة الله عز وجل، وتعظيم الرجاء في رحمته. وللرجاء فوائد جمّة، منها:

1. إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويترقبه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.
2. أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله.
3. أن الرجاء حاد يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب والرجاء.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، رقم (43). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم (215).
[2] شرح كتاب التوحيد، ص38.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

4. أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، فإنه كلما اشتدّ رجاؤه وحصل له ما يرجوه، زاد حبًّا لله، وشكراً له، ورضى عنه.

5. أنه يبعث العبد على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوّه كان ادّعى الشكر.

6. أنه يوجب للعبد المزيد من معرفة الله وأسمائه، ومعانيها، والتعلق به، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبد بها داع بها.

7. أن الله يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذل والانكسار، والتوكل والاستعانة والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضى، والإنابة وغيرها[1].

المطلب الثالث: التوبة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب".

التوبة في اللغة تدور حول معاني الرجوع والإنابة. وأصل كلمة تاب، أي: عاد إلى الله، ورجع وأناب[2].

وفي الشرع: التوبة: هي ترك الذنب لقبحه، والندم على فعله، والعزم على عدم العودة، ورد المظلمة إن كانت، أو طلب البراءة من صاحبها[3].

حكم التوبة:

واجبة، والدليل على ذلك صيغة الأمر الجازم في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾[4] الآية دلّت على شيئين: وجوب التوبة من صيغة الأمر في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد الإيجاب؛ لأن وصف الإيمان يوجب الامتثال. وتعليق الفلاح بها، حيث قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

[1] نضرة النعيم، 5/ 2039، 2040.
[2] لسان العرب، 1/ 233.
[3] التوبة وظيفة العمر، محمد بن إبراهيم الحمد، ص4.
[4] النور: 31.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والدليل الثاني: ترتيب العقوبة على ترك التوبة: قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

فضل التوبة:

1. كثرة الآيات الواردة بشأن التوبة، مما يدل على عظيم مكانة التوبة عند الله، وكثرة الآيات الواردة بشأنها، والتي ترغب فيها، وترشد إليها.

2. التوبة سبب لحصول النعم، ودفع النقم.قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[2]

3. التوبة سبب لاستغفار الملائكة للتائب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[3].

4. اختصاص التوبة باستدعاء الفرح الإلهي، كما جاء في الحديث الذي نحن بصدده. والتعبير بالفرح الإلهي فيه من الإغراء بالتوبة، والإشادة بها وبفضلها الشيء العظيم، كما أنه يقطع الطريق على أي شعور باليأس والقنوط[4].

والمراد بفرح الله، قيل: إطلاق الفرح في حق الله مجاز عن رضاه، قال الخطابي: معنى الحديث أن الله أرضى بالتوبة، وأقبل لها، والفرح الذي يتعارفه الناس بينهم غير جائز على الله.

---

(1) الحجرات: 11.
(2) نوح : 10-12.
(3) غافر: 7-9.
(4) موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان، تأليف: منير البياتي، 1/ 221-261 بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن العربي: كل صفة تقتضي التغيير لا يجوز أن يوصف بها الله بحقيقتها، فإن ورد شيء من ذلك حمل على معنى يليق به، وقد يعبر بالشيء بسببه، أو بثمرته الحاصلة عنه. فإن من فرح بشيء جاء لفاعله بما سأل، وبذل له ما طلب. فعبر عن عطاء الباري وواسع كرمه بالفرح. وقال ابن أبي جمرة: كنى عن إحسان الله للتائب وتجاوزه عنه بالفرح[1].

وقيل: الفرح يتصرف بمعانٍ، منه أن يراد به السرور، ولكن السرور يقارنه الرضى بالمسرور، فالمراد هنا أن الله يرضى بتوبة العبد أشد مما يرضى الواجد لناقته بالفلاة، فعبر بالرضى بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع، ومبالغةً في معناه[2]. وهذا من التأويل، والمقصود من الحديث أن الله جل وعلا موصوف بأنه يفرح، وأن فرحه من صفاته تعالى وتقدس، ولكن فرحه ليس كفرح المخلوق، لأن فرح المخلوق يليق بضعفه وبفقره، أما فرح الله جل وعلا فهو عن غنى، ومن رحمة وإحسان، ثم لا يجوز أن يكون الرب جل وعلا والعبد يماثل أحدهما الآخر في شيء من الصفات، وهذا أصل يجب أن يكون بين أعيننا دائماً فالله ليس كمثله شيء، لا في صفاته، ولا في ذاته. وأن فرح الرب جل وعلا بتوبة عبده ليس عن حاجة، فهو غني عن طاعة المطيعين، وتوبة التائبين، ولكنها رحمته وفضله وإحسانه. وهذا يدل على أنه جل وعلا يكره عذاب العباد، ولكن تعذيبهم إنما هو بأفعالهم وكفرهم ومعاصيهم. والحديث يدل على فضل التوبة، وأنها محبوبة إلى الله[3].

وقال ابن القيم: وللتوبة عنده سبحانه منزلة ليست لغيرها من الطاعات، ولهذا يفرح سبحانه بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يُقدر، كما مثّله النبي ﷺ بفرح الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة، بعدما فقدها وأيس من أسباب الحياة. ولم يجيء هذا الفرح في شيء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيراً عظيماً في حال التائب وقلبه.

(1) فتح الباري، 11/ 106.
(2) إكمال المعلم، 8/ 117.
(3) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان، 8/ 10.

www.alukah.net
شبكة الألوكة
مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي 25
(السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

ومزيده لا تعبر عنه، وهو من أسرار تقدير الذنوب على العباد، فإن العبد ينال بالتوبة درجة المحبوبية، فيصير حبيباً لله، فإن الله يحب التوابين[(1)].

والأحاديث الدالة على سعة رحمة الله وقبوله لتوبة العبد كثيرة، منها قوله ﷺ في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"[(2)]. وقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل: "أذنب عبدٌ ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت، قد غفرت لك"[(3)]. وقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[(4)].

وقوله ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[(1)].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على قبول التوبة، وحب الله جل جلاله للتوبة.

[(1)] مدارج السالكين، 1/ 306.

[(2)] أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده. وقال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي، الألباني، 3/ 175.

[(3)] أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (2758).

[(4)] أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة (1145).

[(1)] أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم (1145). ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (758).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث: ارتباط حسن الظن بالأعمال:

المطلب الأول: ارتباط حسن الظن بالإيمان بأسماء الله وصفاته:

جميع الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله مرتبطة بحسن الظن، من ذلك الإيمان بأسماء الله وصفاته، فقد ذمّ الله من أساء الظن به، لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه، وقدرته وعلمه، وحسن اختياره، وقوة المتوكل عليه فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات، وبالجملة فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة، لأن كل صفة لها عبودية خاصة، وحسن ظن خاص بها[1]. وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء. والمسيء الظن بالله فقد ظن به خلاف كماله المقدس، وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته. ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[2]. وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، أي: وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص، حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره، فلو ظننتم به ما هو له أهل من أنه بكل شيء عليم، وهو على كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط على خلقه، وأنه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه غيره، والعالم بتفاصيل الأمور، فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده

---

[1] تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن الوهاب، 1/ 605.
[2] الفتح: 6.
[3] فصلت: 23.

فلا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته، فلا يحتاج إلى من يستعطفه[1].

ولو تأملنا في كل اسم من أسمائه، وما اشتمل عليه من معاني، لظهر لنا جليًّا علاقة الإيمان بأسماء الله وحسن الظن به جل جلاله، مثال ذلك من أسمائه سبحانه وتعالى: اللطيف، قال ابن القيم: واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية[2].

ومن المعاني التي تضمنها هذا الاسم، وتظهر بجلاء: أهمية حسن الظن بالله، ما ذكره الشيخ السعدي، فقال: ومن لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية، فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها، وتشق عليه، وهي عين صلاحه، والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء وبأذى قومهم بالجهاد في سبيله، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون، وكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها، ويصرفها عنه رحمة به، لئلا تضره في دينه، فيظل العبد حزيناً من جهله، وعدم معرفته بربه، ولو علم ما ادخر له في الغيب، وأريد إصلاحه لحمد الله وشكره، فإن الله بعباده رؤوف رحيم، لطيف بأوليائه[3].

ومن لطفه بعباده أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح، وإن كرهوه لطفاً بهم وبرًّا وإحساناً. ومن لطفه بعبده أن يعطيه من الأولاد والأموال ما تقر به عينه في الدنيا، ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، ومن لطفه بعبده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس أن ينفصها عليه، ويكدرها فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات.

(1) الداء والدواء، 318-319.
(2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة في التعليل, ص 34.
(3) الحق الواضح المبين 61-62.

وألطف من هذا أن يقدر لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية، ويوفر له دواعيها، وهو تعالى علم أنه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسبابها من أكبر الطاعات[1]. إلى غير ذلك من الأمور التي تجري على الإنسان في حياته، لو نظر إليها بعين البصيرة وبحسن الظن بالله لعلم أن الله ما أراد به إلا خيراً.

المطلب الثاني: ارتباط حسن الظن بالدعاء:

الدعاء لغة: مأخوذ من مادة (د ع و)، والتي تدل في الأصل إمالة الشيء إليك بصوتٍ وكلام يكون منك، ومن هذا الأصل، الدعاء في معنى الرغبة إلى الله عز وجل. ويقال: دعا بالشيء، ودعوا، ودعوه، ودعاء، ودعوى: طلب إحضاره، يقال: دعا بالكتاب، احتاج إليه. ودعا الله: رجا منه الخير. ويستعمل الدعاء بمعنى النداء، يقال من ذلك: دعا الرجل، دعوا، ودعاء ناداه[2].

اصطلاحاً: هو الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾[3]. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: حقيقة الدعاء معناه: مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء، فهو سبب لذلك، واستجلاب لرحمة المولى.

وقيل: هو إظهار الافتقار إليه، والتبرئ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى، وإضافة الكرم والجود إليه[1].

الدعاء مرتبط بحسن الظن بالله ارتباطاً وثيقاًن كيف لا والدعاء كله يتضمن رجاء رحمة الله، وطلب جلب النفع، ودفع الضر. قال ابن حجر في التعليق على قوله ﷺ: "لا يقل أحدكم: الله اغفر لي، اللهم ارحمني إن شئت. وليعزم في المسألة، فإن الله لا مكره له"[2].

---

[1] ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، 269-274.
[2] مقاييس اللغة، 2/ 228، المعجم الوسيط، 1/ 216. وانظر: نضرة النعيم، 5/ 191.
[3] الأعراف: 55.
[1] تاج العروس، 38/ 46. وانظر: الترغيب في الدعاء، والحث عليه للإمام تقي الدين المقدسي، تحقيق: د. فالح الصغير 54.
[2] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم في المسألة فإنه لا مكره له، رقم (6339) من طريقين بألفاظ متقاربة. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت (2679) بلفظ مقارب.

مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي 25
(السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

وجه الدلالة: في قوله "ليعزم" أي: ليحسن الظن بالله تعالى في الإجابة[1].

وقوله ﷺ: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"[2]، أي وأنتم معتقدون أن الله تعالى لا يخيبكم لسعة كرمه وكمال قدرته وإحاطة علمه لتحقق صدق الرجاء[3].

وقال الشيخ بن عثيمين في قوله تعالى في الحديث القدسي"فاستطعموني أطعمكم"[4]: هذا جواب شرط مقدر، أو جواب الأمر الذي كان في الشرط، يعين إنك إذا استطعمت الله، فإن الله يطعمك، ولكن استطعام الله يحتاج إلى أمر مهم، وهو حسن الظن بالله، أي أن تحسن الظن بربك أنك إذا استطعمته أطعمك، أما أن تدعو الله وأنت غافل لاه، أو لا تفعل الأسباب وأنت معتمد على قوتك لا على ربك، فإنك تكون مخذولاً والعياذ بالله[5].

وقد أمر الله عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة تفضّلاً منه، وتكرّماً وامتناناً وإحساناً، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1]، وهذا الوعد من الله لا يتخلف، والاعتقاد بعدم خلف الله لوعده هو عقيدة المؤمن بربه. لكن قد تتأخر الإجابة أو تتخلف لحكم و أسرار لا يعلمها إلا الله، لأن حكمة الله اقتضت عدم إجابة كل دعاء، لأن الإنسان قد يدعو بما فيه ضرر، أو بما لا مصلحة له فيه، لأنه محدود المعرفة قاصر العلم بما يصلحه، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾[2].

---

(1) فتح الباري، 11/ 168.
(2) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، رقم (3479). وقال عنه الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، 3/ 434.
(3) مرقاة المفاتيح، 1531/4.
(4) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (2577). ضمن حديث طويل
(5) شرح رياض الصالحين, 130/1.
(1) البقرة: 186.
(2) الإسراء : 11.

فمعنى قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[1]، أي: بحسب نظري لكم ورحمتي بكم، لا بحسب أهوائكم وأمانيكم، صحت أو فسدت. فدل هذا على أن الله تعالى إنما يستجيب الدعاء المستجمع شرائطه إذا علم للداعي فيما سأل خيراً، فأما إذا علم أن له فيه فساداً أو شرًّا فإنه لا يستجيب له إكراماً، إلا أن الوعد بالإجابة باقٍ على عمومه لقوله ﷺ: "ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجلّ في مسألة، إلا أعطاه إياها، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له"[2]. فالداعي إما أن يجيبه الله، أو يعوضه الله من دعائه عوضاً، أو يدخر له الأجر، أو يدفع عنه من البلاء بقدر دعوته، أو يشرح صدره لتحمل البلاء، والصبر على ذلك. لقوله ﷺ: "ما مسلم يدعو ليس بإثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها"، قالوا: إذا نكثر؟، قال: "الله أكثر"[3]. فينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بربه في عدم استجابة دعائه، وأن الله ما أراد به إلا خيراً.

المطلب الثالث: ارتباط حسن الظن بالتوكل:

التوكل لغة: مصدر من توكّل يتوكّل، والواو والكاف واللام أصل صحيح، يدل على اعتماد غيرك في أمرك، والتوكل إظهار العجز في الأمر، والاعتماد على غيرك. وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر، ووكّله: استكفاه أمره ثقةً به، وتواكل القوم: اتكل بعضهم على بعض[4].

اصطلاحاً: الثقة بما عند الله، واليأس مما في أيدي الناس. وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب مع تهيئة الأسباب. وقال ابن مسروق: الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام.

---

(1) غافر : 60.
(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ما يدخر للداعي من الأجر والثواب. وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد، 1/ 264.
(3) الدعاء ومنزلته في العقيدة الاسلامية 1/222-229 بتصرف. والحديث أخرجه أحمد في مسنده، رقم (1633). وقال عنه الألباني: إسناده لا بأس به. صحيح الترغيب والترهيب، 2/ 128.
(4) مقاييس اللغة، 9/ 104، المعجم الوسيط، 2/ 1054. وانظر نضرة النعيم، 4/ 1377.

وقال ابن رجب: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[1].

من أسماء الله عز وجل الوكيل، بمعنى الوكيل على جميع خلقه، وذلك لأنه خالقهم، ومدبر أمرهم، والمتكفل بأرزاقهم وحاجاتهم، ومحييهم، ومميتهم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[2]، قال الشيخ السعدي: إخباره بأنه على كل شيء وكيل يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها[3]. ومن آثار الإيمان بهذا الاسم صدق التوكل على الله وحده في جلب المناقع، ودفع المضار، ونفض القلب واليد مما سواه، لأنه سبحانه الضامن لرزق عباده، المدبر لشؤونهم، الراعي لمصالحهم بحكمة، وعلم وقدرة مطلقة، وهذا يقتضي عدم التعلق بالأسباب مع فعلها، لأن الله أمر بالأخذ بالأسباب، والنظر إلى مسببها، وهو الله الذي إن شاء نفع بها، وإن شاء أبطلها، فعاد الأمر والتأثير والتدبير إلى الله[1].

قال ابن القيم: رابط وثيق بين الثقة بالله، والتوكل عليه تعالى، فالثقة بالله سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم، فالثقة بالله خلاصة التوكل ولبه، كما أن سواد العين أشرف ما في العين[2].

---

(1) التعريفات للجرجاني، 97، عمدة القاري، 14/ 216، مرقاة المفاتيح، 9/ 478. وانظر نضرة النعيم، 4/ 1378.
(2) الزمر: 62.
(3) تيسير الكريم الرحمن، 728.
(1) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، 393 باختصار.
(2) مدارج السالكين، 2/ 142.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال أيضاً في تصوير العلاقة بين التوكل، وحسن الظن بالله: على قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله. والتحقيق أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه، وكلما كان العبد حسن الظن بالله، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل[1].

المطلب الرابع: ارتباط حسن الظن بالرضا بالقضاء والقدر:

القدر لغة: مصدر الفعل قدَّر يُقدّر قدراً. وقد تسكن داله. قال ابن فارس: مادة: (ق د ر) القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا، أي: مبلغه. وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدِّره وأقدُره من التقدير، والقدر محركة: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور[2].

القدر اصطلاحاً: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته[1]. أو تقدير الله تعالى للأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[2].

فالإيمان بالقدر هو أن تؤمن بتقدير الله عز وجل للأشياء كلها، وأن الله عز وجل قدرها وكتبها عنده قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومعلوم أن المقدورات خير وشر، فالطاعات خير، والمعاصي شر، والغنى خير، والفقر شر، وغير ذلك. وإن كان القدر من الله فكيف يقال الإيمان بالقدر خيره وشره، والشر لا ينسب إلى الله، كما قرر ذلك نبينا ﷺ، حيث قال في ثنائه على الله: "والشر ليس إليك"[3].

---

(1) المرجع السابق، 1/ 469.
(2) مقاييس اللغة26/5، لسان العرب 74/5.
(1) رسائل في العقيدة، بن عثيمين، 37.
(2) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص39، 40.
(3) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، ضمن حديث طويل، رقم (761)، صححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، 3/ 345.

فالجواب أن الشر لا ينسب إلى الله، لا فعلاً ولا تقديراً ولا حكماً، بل الشر في مفعولات الله لا في فعله، ففعله كله خير وحكمة، فتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة، تأمل قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1] تجد أن هذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر كان لما يرجى به من العاقبة الحميدة، وهي الرجوع إلى الله.

ثم إن ما يقدره الله لا يكون شرًّا محضاً، بل في محله وزمانه فقط، فإذا أخذ الله الظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر، ذلك شرًّا بالنسبة له، وقد يكون خيراً له من وجه آخر، أما لغيره ممن يتعظ بما صنع الله به، فيكون خيراً، قال تعالى في القرية التي اعتدت في السبت: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1] وكذا إذا استمرت النعم على الإنسان حمله ذلك على البطر، بل إذا استمرت الحسنات ولم تحصل منه سيئة تكسر من حدة نفسه، فقد يغفل عن التوبة وينساها، وكم من إنسان أذنب ذنباً ثم تذكر واستغفر، وصار بعد التوبة خيراً منه قبلها، فهذا آدم عليه السلام لم يحصل له الاجتباء والتوبة والهداية، إلا بعد أن أكل من الشجرة وحصل منه الندم، وقال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]. إذا الأشياء المخلوقة فيها خير وشر، والله خالق الخير والشر، أما فعل الرب سبحانه حكمة، وقضاؤه وتقديره فكله خير، ليس فيه شر، والشر لا يضاف إلى الله اسماً ولا صفة ولا فعلاً، فالشر لا يكون في أسمائه، فكلها حسنى، ولا في صفاته، فكلها صفات كمال وحمد، ولا في أفعاله، فكلها أفعال عدل وحكمة.

---

(1) الروم:41.
(1) البقرة: 66.
(2) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، 2/ 415 بتصرف.

وإنما يكون في مفعولاته، أي مخلوقاته، وإنه تعالى لا يخلق شراً محضاً، بل كل الشر الذي في المخلوقات شر نسبي، وهذا يرجع إلى الإيمان بحكمته، وأنه حكيم لم يخلق شيئاً إلا لمصالح وحكم يعلمها سبحانه، وليس من شرط ذلك أن تكون عائدة للعبد، بل قد يكون فيها شر لبعض الناس، وهو شر جزئي، فأما شرٌّ كلّي، أو شرٌّ مطلق، فالله منزّه عنه.

فكل ما خلق الله، إما أن يكون خيراً محضاً، أو أن وجوده خير من عدمه باعتبار الحكمة العامة، والشر الذي في المخلوقات لا يضاف إلى الله مفرداً أبداً، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] يعني الخير والشر، وعلى هذا فلا ينبغي أن تقول: الله خالق الشر، لكن قل: الله خالق كل شيء. وهكذا في النفع والضر، فلا تقل: الله هو الضار، بل قل: الله هو النافع الضار. ومن هذا قول إبراهيم: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾[1]، ولم يقل: إذا أمرضني شفاني، وهذا من الأدب في الإخبار عن الله سبحانه وتعالى[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾[3]، ففي الشر قالوا: أريد، وفي الخير قالوا: أراد بهم ربهم. وذلك حتى ينزه الله عن أن يصدر منه الشر المحض، وإن كان هو الذي قدّر الشر وخلقه، فيعتقد العبد أن صدوره من الله خير ومصلحة، وليس فيها أية ضرر بالنسبة إلى الله، ولو كان فيها كراهية للعباد، ولكن ما خلقها الله إلا لحكمة فهي خير[4].

---

(1) غافر: 62.
(1) الشعراء: 78-80.
(2) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ البراك، 1/ 347-349.
(3) الجن: 10.
(4) شرح العقيدة الطحاوية بن جبرين، دروس مفرغة لشرح الشيخ، 28/ 4.

www.alukah.net

فإذا علم العبد أن أفعال الله كلها خير له، وإن لم يظهر له هذا الخير، ولم تظهر له الحكمة، اطمئن إلى قدر الله، وأحسن الظن بربه، ورضي بقضائه. قال بعض السلف: أرضى عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه[1].

الخاتمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد: فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها بعد رحلتي مع هذا الحديث الشريف:

1. الظن في اللغة يأتي بمعنى اليقين والشك.
2. الظن في الاصطلاح هو التردد بين أمرين، أو ترجيح أحدهما على الآخر.
3. اختلفت دلالات حسن الظن بالله عند العلماء، فقيل المراد به المغفرة، وقيل الكفاية، وقيل الرجاء، وقيل العلم بالله، والوثوق بما عنده، وغيرها من الدلالات.
4. أول بعض شراح السنة بعض الصفات الواردة في الحديث.
5. معية الله لعباده نوعين معينة عامة للخلق كلهم، ومعية خاصة بالمتقين بتوفيقهم وتسديدهم.
6. قرب الله من العبد شبراً وذراعاً، قرب الرب من قلب العبد بمعرفته، والإيمان به، حتى يصير العبد محبا لما أحب الرب، مبغضا لما أبغض، مواليا لمن يوالي، معاديا لمن يعادي.
7. الصحابة رضوان الله عليهم سمعوا هذا الحديث، ولم يتأولوه، ولم يسألوا النبي ﷺ عنه، وهم أعلم الناس باللغة، وبما يليق بالله.

(1) مدارج السالكين، 2/ 208.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

8. الصفات الواردة في الحديث من الصفات الفعلية، ولا نعلم كيفيتها، ونثبتها كما جاءت.
9. المحسن حسن الظن بربه، والمسيء فتمنعه سيئاته من حسن الظن بربه.
10. لكل صفة من صفات عبودية خاصة، وحسن ظن خاص.
11. من قام بقلبه حقائق معاني الأسماء والصفات، قام به حسن الظن بالله بما يناسب كل اسم وصفة.
12. حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل، فلا يتصور التوكل على من يسيء الظن به.
13. الشر لا ينسب إلى الله فعلاً ولا تقديراً ولا حكماً، وإن لم تظهر للعبد الحكمة.
14. التسبيح يطلق ويراد به جميع ألفاظ الذكر.
15. التسبيح من أفضل ما يستعد به العبد للقاء ربه، وقد أثنى الله على المشتغلين بالتسبيح، وهو عبادة جميع الكائنات، وهو من أحب الكلام إلى الله.
16. التوبة سبب لحصول النعم، ودفع النقم، وهي سبب لاستغفار الملائكة للتائب، وهي مختصة باستدعاء الفرح الإلهي.

www.alukah.net
مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 2، الرقم التسلسلي 25
(السداسي الأول 2020)، ص.173– 219

المصادر والمراجع:

01- ابن القيم، الداء والدواء، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرّج أحاديثه: زائد بن أحمد النشري، إشراف: بكر أبو زيد رحمه الله، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، 1429هـ.

02- ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت، دار المعرفة، ط. 1398هـ- 1978م.

03- ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط.2، الدمام، دار ابن القيم، 1414هـ-1994م.

04- ابن القيم، مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط .3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1416هـ-1996م.

05- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط.2، الرياض، مكتبة الرشد، 1423هـ-2003م.

06- ابن تيمية، العقيدة الحموية الكبرى، تحقيق: شريف محمد فؤاد هزاع، (د.م.)، دار نجد للتراث،

07- ابن تيمية، شرح حديث النزول، ط.5، بيروت، المكتب الإسلامي، 1397هـ-1977م.

08- ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، 1406هـ- 1986م.

09- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط. جديدة ومنقحة ومقابلة على طبعة بولاق، والطبعة الأنصارية، والسلفية التي حقق عدة أجزاء منها سماحة الشيخ بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولى، الرياض-دمشق، دار السلام-دار الفيحاء، 1418هـ-1997م.

10- ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط.7، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1422هـ-2001م.

11- ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث تحقيق: محمد الأصفر، ط.2، بيروت- قطر، المكتب الإسلامي- مؤسسة الإشراق، 1419هـ- 1999م.

12- أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.

13- أبي البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1419هـ-1998م.

14- أبي الفضل عياض اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، القاهرة، دار الوفاء، 1419-1998م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

15- أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الدعاء، دراسة وتحقيق وتخريج: د. محمد سعيد البخاري، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1407هـ- 1987م.
16- أبي بكر أحمد البزار، مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1988-2009م.
17- أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، ط.3، الرياض، دار السلام، 1421هـ-2000م.
18- أبي عبد الله محمد بن ماجه القزويني، السنن إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.3، الرياض، دار السلام، 1421هـ-2000م.
19- أبي عيسى محمد الترمذي، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.3، الرياض، دار السلام، 1421هـ-2000م.
20- أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، مسند أبو يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار الماعون، 1404هـ-1984م.
21- الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، جدة، دار باوزير، 1424هـ- 2003م.
22- الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ط.5، الرياض، مكتبة المعارف، (د.ت.)
23- الألباني، صحيح الجامع وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ت.)
24- الألباني، صحيح سنن الترمذي، الرياض، مكتبة المعارف، 1420هـ-2000م.
25- الألباني، محمد بن ناصر، صحيح أبي داود، مؤسسة غراس الكويت، 1423هـ-2002م.
26- البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، بإشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.3، الرياض، دار السلام، 1421هـ- 2000م.
27- البخاري، صحيح الأدب المفرد حقق أحاديثه: محمد بن ناصر الألباني، ط.4، دار الصديق للنشر والتوزيع، 1418هـ-1997م،
28- البخاري، صحيح البخاري، شرح الكرماني، ط.3، بيروت، دار إحياء التراث، 1405هـ-1985م.
29- البيهقي، الأربعون الصغرى، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، بيروت، دار الكتاب العربي، 1408هـ.
30- البيهقي، الأسماء والصفات، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الله الحاشدي، قدّم له فضيلة الشيخ: مقبل الوادعي، جدة، مكتبة السوادي، 1413هـ-1993م.
31- تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز، عامر الجزار، ط.3، دار الوفاء، 1426هـ-2005م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

32- تقي الدين المقدسي، الترغيب في الدعاء والحث عليه، تحقيق: د. فالح الصغير، (د.ت.).
33- الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دا الكتب، 1411هـ-1990م.
34- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، (د.ت.)
35- سيد عبد الماجد الفوري، المدخل إلى دراسة علوم الحديث، دمشق، دار ابن كثير، 1430هـ-2009م.
36- السيوطي، شرح سنن ابن ماجه، قدم له وحققه: رائد بن صبري، لبنان، بيت الأفكار الدولية، 2007م.
37- الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، ط.2، الدمام، دار ابن القيم، 1407هـ-1987م.
38- الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ط.10، مكتبة المعارف، 1425هـ-2004م.
39- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط.2، المملكة العربية السعودية، دار الوطن،1418هـ-1997م.
40- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ط.5، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421هـ.
41- عبد الرحمن محمود خليفة، ذكر الله بين الاتباع والابتداع، مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، 1424هـ-2003م.
42- عبد الرزاق البدر، فقه الأدعية والأذكار، ط.2، الكويت، 1423هـ-2003م.
43- عبد العزيز بن باز، فتاوى نور على الدرب، جمعها د. محمد الشويعر، وقدم لها عبد العزيز آل الشيخ، دون بيانات النشر.
44- علي بن عبد العزيز الشبل، التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، موقع الدرر السنية، (د.ت.)
45- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ.
46- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط بدون، دار الكتاب العربي.
47- القاضي عياض، مشارق الأنوار، دون بيانات النشر.
48- الكلاباذي، بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار، تحقيق: وجيه كمال الدين زكي، القاهرة، دار السلام، 1429هـ-2008م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

49- المباركفوري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط.3، نارس(الهند)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية، 1404هـ-1984م.
50- محمد إسحاق كندو، التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، الرياض، مكتبة المنهاج، 1426هـ.
51- محمد العثيمين، القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ط.2، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1424هـ.
52- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط.2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1393هـ-1973م.
53- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط.2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م.
54- محمد بن عثيمين، رسائل في العقيدة، جمع وترتيب: فهد بن ناحر السليمان، المملكة العربية السعودية، دار الوطن، 1413هـ.
55- محمد بن عثيمين، شرح رياض الصالحين، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. عبد الله الطيار، الرياض، دار الوطن، 1415هـ-1995م.
56- محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت.)
57- محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، ط.3، بيروت، دار صادر، (د.ت.)
58- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط.2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1426هـ-2005م.
59- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت، مكتبة لبنان، 1996م.
60- محمد، المدعو بعبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، صححت الطبعة وقوبلت على عدة نسخ، وعلق عليها تعليقات قيمة نخبة من العلماء، ط.2، بيروت، دار المعرفة، 1391هـ-1972م.
61- المناوي، الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، طالب عواد، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، (د.ت.)
62- النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ-1991م.

63- النووي، مسلم، شرح النووي على صحيح مسلم، ضبط نص الصحيح ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه على الطبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995م.

64- الشيخ البراك، شرح العقيدة الطحاوية، نقلاً عن أشرطة مفرغة.

65- الشيخ صالح آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية، نقلاً عن أشرطة مفرغة.

66- الغنيمان، شرح العقيدة الواسطية، نقلاً عن أشرطة مفرغة.

67- الشيخ عبد العزيز الراجحي، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، نقلاً عن أشرطة مفرغة.

68- أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بتاريخ 1410هـ.